القسم الأول

أهم مشكلات المسلمين بقارة إفريقيا

أولاً : مشكلة الجوع :

لا تنتج قارة إفريقيا إلا ٢٪ من الإنتاج الزراعى العالمى ، وذلك بالرغم من أنها تمتلك ١٧٪ من الأراضى المزروعة فى العالم ، و٢٧٪ من الأراضى القابلة للزراعة ، و١٨٪ من غابات العالم ، و٢٣٪ من مراعى العالم .

ومن أسباب مشكلة الجوع ما يلى :

أ- أن المستعمر جعل كل دولة إفريقية تعتمد على إنتاج سلعة واحدة أو سلعتين وبذلك تظل إفريقيا تحت رحمة السوق الأوربية المشتركة . انظر الجدول التالى .

نوع الإنتاج فى الدول الأفريقية(١)

م	أقطار تعتمد على تصدير محصول واحد	النسبة المئوية من قيمة صادراتها	نوع السلعة المصدرة
١	ليبيا	٩٩,٨٪	بترول
٢	جامبيا	٩٧٪	فول سودانى
٣	موريشيوس	٩٦٪	سكر
٤	زامبيا	٩٣٪	نحاس
٥	زنجبار	٨٦٪	قرنفل
٦	تشاد	٨٣٪	قطن
٧	السنغال	٧٨٪	بذور زيتية
٨	النيجر	٧٥٪	بذور زيتية
٩	ليبريا	٦٩٪	خامات حديد
١٠	الجزائر	٦٩٪	بترول
١١	غانا	٦٩٪	كاكاو

(١) كتاب أفريقيا للدكتور جمال عبد الهادى ص ٣٤ ، المنصورة – دار الوفاء .

م	أقطار تعتمد على تصدير محصولين	النسبة المئوية من قيمة صادراتها	نوع السلعة المصدرة
١٢	رواندا	٨٥٪	بن - قصدير
١٣	سيراليون	٨٥٪	ماس - قصدير
١٤	الصومال	٨٤٪	حيوانات - موز
١٥	السودان	٨١٪	قطن - بذور زيتية
١٦	أوغندة	٧٧٪	بن - قطن
١٧	أنجولا	٧٠٪	بن - ماس
١٨	أفريقيا الوسطى	٧٠٪	ماس - قطن
١٩	فولتا العليا	٧٠٪	حيوانات - قطن
٢٠	الكنغو الشعبية	٦٩٪	أخشاب - ماس
٢١	مصر	٦٩٪	قطن - منسوجات
٢٢	توجو	٦٨٪	فوسفات - كاكاو
٢٣	أثيوبيا	٦٨٪	بن - جلود

م	أقطار تعتمد على تصدير ثلاثة سلع	النسبة المئوية من قيمة صادراتها	نوع السلعة المصدرة
٢٤	الجابون	٨٢٪	بترول- منجنيز- أخشاب
٢٥	نيجيريا	٧٨٪	بترول-زيوت نباتية-كاكاو
٢٦	ملاوى	٧٥٪	شاى- تبغ - زيوت نباتية
٢٧	الكاميرون	٦٩٪	بن- كاكاو - ألمنيوم

وقد جاءت تقارير لجان الإغاثة أن الناس فى إفريقيا يموتون من العطش والجوع ، وكذلك الحيوانات ، وأن الموتى لا يجدون من يدفنهم ؛ لأن أعدادهم كبيرة . وحينما وصلت لجنة الإغاثة إلى مكان ناءٍ بإفريقيا ، قال لهم المسنون : «نحن نعلم أنكم لن تقدموا لنا ما نعيش به لفترة طويلة . وكل ما نطلبه أن تحفروا لنا قبوراً قبل أن تغادروا المكان» . وقد أكد

ذلك صحيفة الجارديان البريطانية ، حيث ذكرت أن مجموع المساعدات التى عبرت السودان إلى أريتريا لاتسد أكثر من ١٠٪ من حاجة الإقليم . كما أكدت الأنباء أن المساعدات المتجهة إلى أريتريا تباع للتجار الذين يعيدون بيعها للسكان .

● هل ينجو هؤلاء من التنصير الذي يستغل فقرهم....؟

ب- **المستعمر يمد دول إفريقيا بمختلف أنواع الأسلحة . وفى نفس الوقت يسعى لإشعال الحروب فيما بينها** : فماذا يعنى هذا ؟ أليس القصد هو أن تبقى إفريقيا متخلفة فقيرة، متناحرة ، يقتل بعضها بعضاً . وإلا فلماذا يقدم الغرب لأثيوبيا مائة طائرة مقاتلة وما من جرار زراعى واحد بها[١] .

الجوع في عالم الوفرة : برغم مشكلة الجوع التى تعانى منها إفريقيا وغيرها . فهناك بالمقابل مشكلة أساسية أمام المزارعين الأمريكيين ، وهى التخلص من الفائض الكبير للقمح وغيره ، وبالمثل بلدان السوق الأوربية ، تعانى هى الأخرى من مشكلة التخلص من بحيرة الحليب ، وجبال الزبدة ، والجبن ، تلك المشكلة التى كادت تعصف بوحدة السوق فى صيف عام ١٩٨٤م ، كما أن الدول الأوربية تُلقى كل عام بأطنان من محاصيل التفاح وغيره فى البحر، أو تدفنها فى الأرض ؛ للحفاظ على أسعاره . كما أن ما يلقى فى القمامة من الخضر والفاكهة يمثل ٦٥٪ من إنتاج أمريكا الوسطى[٢] .

---

(١) كتاب أفريقيا التى يراد لها أن تموت جوعاً د. جمال عبد الهادى ص ١٤٥ ، ١٤٦ ط دار الوفاء .

(٢) نفس المرجع صفحات ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٨٨ .

ثانيًا : مشكلة التخلف الصناعي والتجارى :

فقارة إفريقيا لا تنتج إلا ٨٪ من الإنتاج الصناعى فى العالم . كما أن التجارة الداخلية التى يبن أقطار القارة لا تمثل إلا ٢٪ والباقى مرتبط بالسوق الأوربية المشتركة وغيرها من دول الغرب[١] . وبالرغم من ذلك فإن قارة إفريقيا تنتج ٩٠٪ من إنتاج الكوبالت فى العالم ، و٩٠٪ من إنتاج الكروم فى العالم ، و٧٧٪ من الذهب ، و٧٥٪ من الماس ، و٢٣٪ من النحاس ، و٣٠٪ من المنجنيز ، و٨٠٪ من معادن التتانيوم ، كما تنتج جنوب إفريقيا ٣٥٪ من يورانيوم العالم وغير ذلك .

هذا بالإضافة إلى سحب المستعمر للعملة الذهبية من أيدى الناس ، واستبدالها بعملة ورقية ، كما حدث بمصر حين أُرسلت معظم الأرصدة الذهبية إلى لندن ، مما أدى إلى ارتفاع مروع فى الأسعار[٢] .

انخفاض متوسط دخل الفرد من الإنتاج السنوى بالقارة : يبلغ متوسط دخل الفرد السنوى حوالى ١٥٠ دولاراً فى إفريقيا ، فى حين أنه فى أوربا يبلغ أضعاف أضعاف هذا المبلغ . أما فى الدول الإسلامية بإفريقيا فيصل متوسط دخل الفرد إلى حوالى ١٠٠ دولار سنوياً .

وبرغم الاستقلال فما زالت سياسة المستعمر الاقتصادية هى السائدة . وما زالت الصادرات هى نفس الصادرات ، كالبن والكاكاو والقطن وحتى قصب السكر ما زال يصدر عصيره الخام ليصنع فى أوربا ، وبالمثل المعادن وغيرها . كل ذلك بسبب سياسة المستعمر الذى لم يترك إفريقيا إلا وهى فى أشد حالات الفقر ونقص التعليم . وفى هذا يقول «باتن» «تميزت الزراعة قبل الاستعمار بكونها زراعة محاصيل غذائية ؛ تقدم للسكان ما يجعلهم أصحاء ، قادرين على العمل والإنتاج ، ويزداد عددهم يوماً بعد يوم . ولما جاء المستعمر ، واحتكر شراء السلع الزراعية ، اضطر الفلاح أن يزرع المحاصيل النقدية ، التى تحددها الشركات المحتكرة ، فأدى ذلك إلى قلة توافر الغذاء للسكان ، وانتشار المجاعات ، وازدياد المرضى ، وكثرة موت الأطفال»[٣] . هذا بالأضافة إلى إنهاك الأرض ؛ لأن نظام الدورة الزراعية الذى كان متبعاً قبل الاستعمار يعد ضرورياً للمحافظة على خصوبة التربة . من كل هذا يتضح أن موت الناس جوعاً بإفريقيا كان نتيجة لسياسة إجرامية خطط لها الاستعمار .

---

(١) كتاب أفريقيا التى يراد لها أن تموت جوعاً د. جمال عبد الهادى ص ٣٥ ، ٣٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٦ ، ٨٧ .

اقتراحات للخروج من مشكلة الجوع والتخلف الصناعي والتجارى :

١- البحث عن مصادر أخرى للمياه ، كتحلية مياه البحر ، أو حفر الآبار ، أو بناء السدود ، وغيرها وبخاصة أن الغذاء قد أصبح سلاحاً سياسياً يستخدم ببراعة ، وبلا ضمير ، فى إخضاع الشعوب الفقيرة .

٢- تقديم معونات عاجلة لدول الساحل الفقيرة وبخاصة : (مالى وموريتانيا والنيجر وتشاد وفولتا العليا والسنغال) وجميعها دولاً إسلامية .

٣- على الحكومات والمؤسسات الإسلامية أن تسارع بتبنى أطفال المسلمين الذين فقدوا ذويهم ، وأقاربهم ، فى المجاعات الإفريقية ، أو غيرها ، لأن المبشرين هم الذين يقومون بهذا العمل حتى الآن . لدرجة أن قسيساً بلجيكياً واحداً قام بتبنى ثلاثة آلاف طفل صومالى مسلم؛ لكى يربيهم على المسيحية[١] .

٤- ضرورة تدريس مناهج الدين الإسلامى بمختلف مراحل التعليم ، حيث كان المستعمر قد ألغى تدريس هذه المادة ، كما شوه أحداث التاريخ الإسلامى ، مما أدى إلى تخريج أجيال لا تعرف لها رباً ولا انتماء ولا تاريخاً يعتد به.

٥- عدم الاعتماد على معونات الدول المعادية ؛ لأن شروطها غالباً ما تكون مدمرة .

ثالثًا : المشكلة الصحية :

أجمع الباحثون على أن سوء التغذية هو العامل الفعال فى ارتفاع نسبة الوفيات لدى أطفال إفريقيا ، ويقول الباحث «دى كاسترو» فى كتابه «جغرافية الجوع» : «تذكر التقارير أن الأطفال فى كينيا لا يصل منهم إلى سن الخامسة سوى ٦١٪» ومن الأمثلة على إهمال المستعمر للجانب الصحى ، أنه بعد مرور ٧٥ سنة على احتلال بريطانيا لنيجيريا لم يشيد بها سوى مستشفى واحد للحميات ، فى حين أن الملاريا والحميات المتوطنة تصيب ما بين ٦٠٪ و٨٠٪ من السكان . وفى الجزائر كان لايقبل إلا حوالى نصف المتقدمين للجندية ، بسبب عدم لياقتهم الصحية ، وبسبب الأمراض الخبيثة التى كانت تفتك بهم [٢] ومن أشد ما تعانيه إفريقيا اليوم مرض الإيدز . وقد فصلنا الحديث عنه فى بعض الدول الأفريقية .

كما يعانى سكان إفريقيا من مرض النوم والملاريا والحمى الصفراء والبلهارسيا وغيرها

---

(١) كتاب أفريقيا التى يراد لها أن تموت جوعاً د. جمال عبد الهادى ص ١٧٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٧ .

رابعًا : مشكلة التعليم :

جاء فى إحصائيات هيئة الأمم المتحدة (اليونسكو) أن نسبة الأمية فى عام ١٩٥٥م كانت بين ٩٥٪ ، ٩٩٪ فى (الصومال البريطانى والفرنسى وأفريقيا الغربية والاستوائية(وكانت بين ٩٠ ، ٩٥٪ فى (جامبيا وسيراليون وزنجبار) وبين ٨٥٪ ، ٩٠٪ فى (نيجيريا وسوازى لاند) وبين ٨٠ ، ٨٥٪ فى (كينيا وبتسوانا لاند وروديسيا الشمالية) ، وبين ٧٥ ، ٨٠٪ فى باقى البلدان[١] .

وما زالت المؤسسات التنصيرية تحتكر التعليم فى كثير من الدول الإفريقية ، كجنوب السودان وأوغندا ، لدرجة أن المسلم فى تلك الأقطار لايتمكن من التعلم إلا إذا تنصر وغير اسمه . وقد أثبتت الدراسات أن هناك أكثر من ٩٠٠ ألف مرتد عن الإسلام من الأفارقة ؛ بسبب المدارس التنصيرية ، وفى الخرطوم مدارس خاصة بالذين ارتدوا عن الإسلام[٢] .

مثال من تنزانيا : برغم أن نسبة الطلبة المسلمين فى مدرسة «ماقومى» الابتدائية بتنزانيا كانوا ٧٠٪ عام ١٩٨٠م فإن نسبة الطلبة المسلمين فى جامعة دار السلام كانت ١١٪ فى نفس العام ٨٠ / ١٩٨١م . أما المدارس الثانوية بتنزانيا عام ١٩٨٠م فكانت ٢٤٠ مدرسة، منها ٦ مدارس يشرف عليها المجلس الإسلامى ، و٣ مدارس تشرف عليها جمعية الطلبة المسلمين ، ومدرسة واحدة يشرف عليها الشيعة ، والباقى وعدده ٢٣٠ مدرسة ، منها ٨٦ مدرسة حكومية يسيطر عليها المسيحيون ، و١٤٤ مدرسة تشرف عليها الكنائس مباشرة ، لذلك فإن نسبة الطلبة المسلمين بالمرحلة الثانوية كانت ٢٣٪ فقط عام ٨٠ / ١٩٨١م[٣] .

ومن مشكلات أفريقيا التعليمية :

مشكلة إهمال التقنية والعلوم العصرية : وهى من المشكلات الهامة التى تواجه المسلمين فى إفريقيا ، وبخاصة دول غرب إفريقيا . بل هى من أشد التحديات ، وأكثرها إذلالاً للمسلمين ، وأعظمها خطراً عليهم . فهى مشكلة قاتلة لشخصية المسلمين فى تلك الدول ، إن المسلمين هناك ينقصهم الكثير من أنواع التعليم والتدريب والمهارات التى تساعدهم على أن يواكبوا متطلبات العصر ، فقوام الحياةفى أى دولة يعتمد على جهود علماء الشريعة بالإضافة إلى جهود الأطباء والمهندسين ، والاقتصاديين ، ورجال الفكر والأدب ، وخبراء التربية ،

(١) كتاب أفريقيا التى يراد لها أن تموت جوعاً د. جمال عبد الهادى ص ٨٨ .

(٢) أوضاع الأقليات المسلمة بأفريقيا لعبد الرحمن سوار الذهب ص ١٣ .

(٣) أفريقيا لماذا ؟ . د. محمد عبده سيمانى ص ٨٦ ، وما بعدها ط ١٩٩١م .

ورجال الصناعة والتجارة ، والزراعة ، والعسكريين ، وعلماء التنظيم والإدارة ، وغيرهم . وإذا استعرضنا هذه المجالات فى بلادنا الإفريقية فسنعرف أنه من النادر وجود مسلمين أعضاء فى هذه الفئات ، والسبب فى ذلك أن نوع التعليم الذى يتعلمونه فى المدارس الإسلامية يجعلهم لايصلون إلى مراكز القيادة فى أى من هذه المجالات لاهتمام تلك المدارس بتدريس اللغة العربية وعلوم الشريعة فقط ، دون أى اهتمام بالمجالات الأخرى الفنية ، ودون اهتمام بمواصلة التعليم الجامعى فى شتى هذه التخصصات ؛ وهذا هو سبب تخلفهم وتسلط الأقلية النصرانية على دولاب العمل فى بلادهم .

إن أبناء المسلمين فى هذه الدول لا يجدون فى المدارس الإسلامية التعليم الذى يشتمل على خبرات الحياة فى شتى مجالاتها مما يضطر الكثير من الآباء إلى إلحاق أبنائهم بالمدارس الحكومية التى هى دون المستوى أو المدارس التنصيرية . مما أدى إلى ظهور جيل فاقد الشعور بالانتماء إلى الأمة الإسلامية ، وهذا ما جعل نواب البرلمان السنغالى يصوتون ضد اعتبار رأس السنة الهجرية عيداً رسمياً فى الدولة ، برغم أن حوالى ٩٨ ٪ من النواب مسلمون وهذا ليس مستغرب من نواب تربوا على الثقافة الغربية وفى مدارس أوربا[١] ، ونحن لا نقلل من شأن الصحوة الإسلامية ، والجهود الكبيرة التى تبذل اليوم فى فتح مدارس إسلامية فى كل مكان بإفريقيا ، ولكننا فقط ننبه الأذهان إلى ضرورة الاهتمام بتزويدها بأنواع التعليم العصرى والتقنى، بجانب الاهتمام بتعليم اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية .

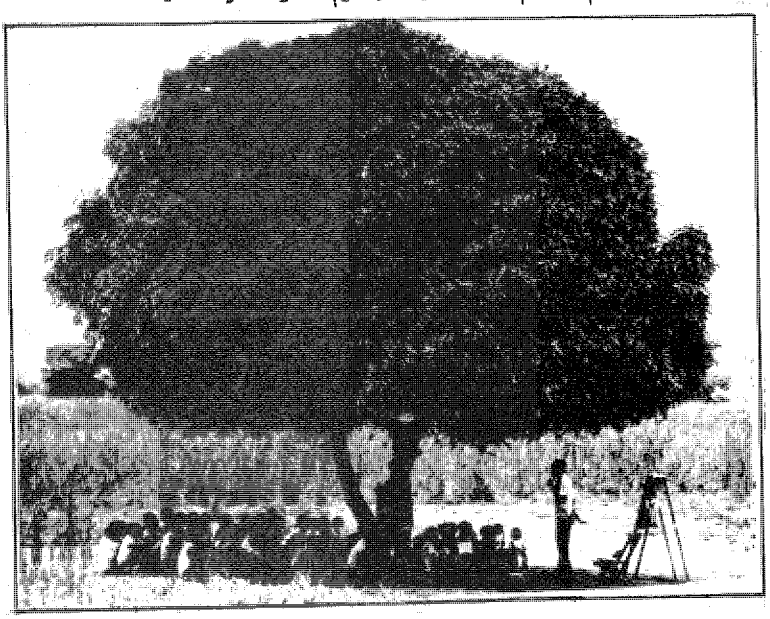

إحدى الخلاوى «الكتاتيب» لتعليم القرآن الكريم (من كتاب الأقليات المسلمة بأفريقيا

خامسًا : مشكلة التجزئة :

جاء فى تقرير للجنة الاقتصادية التابعة للأمم المتحدة عن إفريقيا الغربيةعام ١٩٦٢م أنه : «لا توجد مناطق أخرى فى العالم بهذا العدد الكبير من الدويلات الصغيرة من حيث الإنتاج وعدد السكان» . وقد ذُكر فى كتاب تاريخ إفريقيا لرولاند وليفرجون فينج : «أن الدول الاستعمارية قامت بتمزيق إفريقيا كتأمين لها فى المستقبل ... وأن بريطانيا وحدها عملت على تجزئة مستعمراتها فى إفريقيا إلى ١٤ جزءاً ، وأن فرنسا عملت أكثر من ذلك» وكلها كانت عقبات فى طريق وحدة إفريقيا ، واستعادتها لقوتها ، وحيويتها»[١] .

وحتى الإقليم الواحد كالصومال ، تجزأ إلى خمسة أقسام : صومال إنجليزى ، وآخر فرنسى ، وثالث إيطالى ، ورابع كينى ، وخامس حبشى . كما جزأ الاستعمار زنجبار إلى أقاليم تنجانيقا وكينيا وزنجبار . وجزأ سلطنة «سكتو» إلى أقاليم نيجيريا ومالى وبنين والنيجر وهكذا[٢] . لدرجة أن القبيلة الواحدة صارت موزعة بين عدة دول كقبيلة الطوارق مثلا[٣] .

سادسًا : مشكلة استبعاد الشريعة والشورى من الحكم :

كانت العلاقة بين الحكومات والشعوب علاقة متينة قوية . وكانت معظم القوانين قائمة على الشريعة الإسلامية ، ولما جاء المستعمر وضع قوانيناً لا تتمشى مع ما ألفه الناس ، فأحياناً كان الشعب الواحد يقسم إلى إقليمين ، ويخضع كل إقليم لنوع من القوانين والأنظمة واللغة مخالف للآخر ، ويضيف إلى ذلك «كارتن» فى كتابه «إفريقيا» قوله : «لو دخل أفارقة فى المجالس الدستورية فليس من الضرورى أن تأخذ الحكومة بآرائهم . فوجودهم كان للتضليل والدعاية» ، و«لما أرادت بريطانيا إشراك الأفارقة فى الحكم جاءوا بزعماء موالين لهم . ولذلك لم يتعاون معهم الشعب . وهذا ما طبق أيضاً فى المستعمرات الفرنسية وغيرها»[٤] .

---

(١) أفريقيا د. جمال عبد الهادى ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) أوضاع الأقليات المسلمة لعبد الرحمن سوار الذهب ص ١٠ ، ١١ .

(٣) الطوارق جزء من قبائل البربر ، يعيشون كبدو رحل فى الصحراء الأفريقية . ويمكن تمييزهم باللثام الذى يلبسونه على وجوههم . وانتشارهم يمتد من واحة سيوه المصرية حتى المحيط الأطلسى . وبشرتهم تأخذ اللون الأبيض . وهم جميعاً مسلمون . ومركزهم الرئيسى مدينة «تشانيتا بارادين» فى النيجر ، كما أنهم يوجودن أيضاً فى مالى وليبيا والجزائر والمغرب ، والقليل منهم يسكن فى واحة سيوه بمصر ، وفى بوركينا فاسو وموريتانيا . وهم يتكلمون لغة «التاماجيك» التى يقال أن أصلها فينيقى . وقد أصابهم الجفاف بضرر بالغ منذ عام ١٩٧٤م ، لاعتمادهم على الرعى . وقد ساهم الطوارق بشكل كبير فى نشر الإسلام فى وسط وغرب أفريقيا .

(٤) كتاب أفريقيا للدكتور جمال عبد الهادى ص ٨٦ .

سابعًا : مشكلة الرق والتفرقة العنصرية واضطهاد المسلمين :

عندما ظهرت تجارة الرقيق توقف النشاط التنصيرى مؤقتاً وانصرف البرتغاليون إلى خطف الأفارقة ، وتكبيلهم بالحديد ، وبيعهم فى أسواق العالم الجديد . وقد بلغ عدد من وصل إلى الممتلكات البريطانية حوالى مليونين ونصف فى المدة من سنة ١٧٨٠ – ١٧٨٦م . علماً بأن ما كان يصل منهم حياً لا يمثل إلا النصف ، وإذا علمنا أن ما وصل إلى المستعمرات الأوربية فى قرن واحد قدر بأربعين مليون أفريقى ، أدركنا أن المستعمر قد استنزف ما يقرب من ٨٠ مليوناً أو يزيد من أبناء إفريقيا . وقد صرح وزير المستعمرات البريطانى اللورد «دارتهون» رداً على المنادين بالحد من هذه التجارة البشرية بقوله : «إننا لا نسمح بأى حال بعرقلة هذا النشاط الذى ثبت أنه عظيم الفائدة لشعبنا» وهكذا التقى التبشير والاسترقاق والاستعمار فى هدف واحد ، وهو هدم الكيان الإفريقى واستنزافه»[١] .

وقد كان عدد مراكز تجميع الرقيق على الساحل الغربى لإفريقيا ٤٠ مركزاً . وكان الرقيق يحشرون حشراً فى السفن القذرة ، وكان يموت منهم بسبب ذلك ٥٠٪ تقريباً منهم ١٥٪ تلقى جثثهم فى البحر و٣٥٪ يموتون بعد ذلك ؛ نتيجة الإرهاق والمرض وسوء التغذية ، وكانت السفن عند وصولها إلى الساحل الأمريكى تحرق من شدة قذارتها .

أما المسلمون عند فتحهم لهذه البلاد فكانوا أصحاب حضارة ؛ لأنهم عند دخولها تآخوا مع أهلها ، وتعاونوا معهم فى إنشاء حضارات دامت قروناً عديدة ، ولا زالت البشرية تحلم بها، وقد تكلم «بوذورث سميث» عن أثر الحضارة الإسلامية على الزنوج فقال : «إن أقبح الرذائل وهى أكل لحوم البشر ، وتقديم الإنسان قرباناً ، ووأد الأطفال أحياء ، وغيرها من الرذائل ، قد اختفت فجأة وإلى الأبد، والأهالى الذين كانوا يعيشون حتى ذلك الوقت عراة أو أشباه عراة ، بدأوء يرتدون الملابس. بل ويتأنقون فيها ، والأهالى الذين لم يغتسلوا قط من قبل ، بدأوا يغتسلون ، بل إنهم يكثرون من الاغتسال ؛ لأن الشريعة الإسلامية تأمر بالطهارة»[٢] .

ويذكر «كلارك» أحد أعضاء الإرسالية الأمريكية فى تقرير له عن الكونغو عام ١٨٨٥م . يوضح كيف كان البلجيك يرسلون جنودهم ليقتلوا أفراداً من قبيلة «الأكوكو» أكبر القبائل هناك ، وتعود بالأيدى التى قطعوها من جثث ضحاياهم . وكانت من بينهم أيدى ثلاثة

---

(١) تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها د. شوقى الجمل .

(٢) انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية د. حسن إبراهيم حسن ط ١٩٩٢م ص ٧٩ مكتبة النهضة المصرية .

أطفال . وأقفرت مناطق بأكملها ؛ بسبب القتل والتعذيب . وكان من وسائل التسلية عند البلجيك قطع أعضاء الرجال التناسلية وتعليقها على سور القرية .

وكتب «جليف» فى تقرير له عام ١٨٩٤م أنهم أحضروا ٢٠ رأساً بشرياً إلى شلالات «ستانلى» وزين بها الكابتن «روم» حوض الزهور الذى أمام منزله . كما أن الألمان قتلوا فى تنجانيقا ١٢٠ ألفاً . أما الفرنسيون فقد قتلوا عشرات الألوف فى جزيرة مدغشقر . وما زالت التفرقة العنصرية البشعة تمارس فى روديسيا واتحاد جنوب إفريقيا . حيث يحرم الإفريقى فيها من التعليم ، والتدريب المهنى ، والحقوق السياسية ، ويحرم من دخول الأماكن التى يرتادها الأوربى ، كالفنادق والمطعام والمواصلات وغيرها[١] .

هذا فضلاً عن إبعاد المسلمين عن السلطة ، فبعض الدول الإفريقية التى يمثل المسلمون فيها أكثرية لا تكاد تجد فيها وزير مسلم واحد . فضلاً عن رئاسة الدولة ، فمثلاً دولة «بنين» التى بها أكثرمن ٥٠٪ من السكان مسلمين ، لم يتقدم مرشح مسلم واحد من بين ١٦ مرشحاً لرئاسة الجمهورية[٢] .

ثامنًا : مشكلة التنصير :

من أخطر ما تعرضت له إفريقيا الهجمة التنصيرية التى استهدفت تحويل الشعب الإفريقى إلى نصارى ، ليس حباً فى النصرانية ولكن كرهاً فى الإسلام ، ومحاولة للحد من انتشاره ، ولربط هذه الشعوب بعجلة الغرب . وإلا فهم يهملون المسيحية فى بلادهم . حيث تقلص سلطانها فى حياتهم ، وبات الإلحاد مذهباً علنياً عندهم . فالتبشير إذن حركة استعمارية، اتخذت من اسم المسيح ستاراً لفرض هيمنتها على الآخرين ، كما فعلت الحروب الصليبية من قبل على مدى مائتى عام ، والتى انتهت بالفشل . فالإرساليات التنصيرية تعتبر صنو ملازم للحملات الاستعمارية العسكرية تسبقها حيناً ، وترافقها حيناً ، وتعقبها حيناً . ولقد عبر عن ذلك صراحة قائدان أوربيان من قادة الحرب العالمية الأولى ، حيث قال الجنرال الإنجليزى «اللنبى» حين دخل القدس «الآن انتهت الحروب الصليبية» . وقال الجنرال الفرنسى «جورو» حين دخل دمشق ، ووقف أمام قبر صلاح الدين الأيوبى : «لقد عدنا يا صلاح الدين» .

وهكذا ينفذ المبشرون فى إفريقيا مخططاً تنصيرياً يهدف إلى أن تكون إفريقيا قارة مسيحية

---

(١) أفريقيا د. جمال عبد الهادى ص ٩٤ – ٩٩ .

(٢) أحداث العالم الإسلامى – دار الاعتصام ص ٣٢٦ ط ١٩٩٣م .

عام ٢٠٠٠م[١] وتأتى الأموال التى تنفق على النشاط التبشيرى من جهات متعددة ، فمثلاً عندما أممت مصر شركة قناة السويس فى عام ١٩٥٦م وُجد أن تلك الشركة كانت تخصص من ميزانيتها مبلغ ٣ مليون جنيه سنوياً للتبشير بالمسيحية فى الشرق الأوسط[٢] .

كما أن الولايات المتحدة الأمريكية تنفق سنوياً حوالى ستمائة مليون دولار على الإرساليات التبشيرية . ولقد ترتب على رصد هذه الأموال ، إعداد ١٠٤ ألف من المنصرين بإفريقيا وافتتاح ٤٨٩ مدرسة لاهوتية و٢٥٩٤ مدرسة ثانوية و٨٣٫٩٠٠ مدرسة ابتدائية . كما تمتلك الكنيسة فى إفريقيا حوالى ستمائة مستشفى و٩٣ جمعية للمرضى ذوى العاهات و٢٦٥ ملجأ للأرامل وكلها تعمل فى خدمة التنصير وأهدافه . وهناك ست ملايين طالب مسلم يتعلمون فى مدارس تابعة للكنيسة بإفريقيا[٣] . هذا بالإضافة إلى التنصير عن طريق البث الإذاعى للأماكن الرعوية التى لا يصلها المبشرون . أو الأماكن التى يخشون الاتصال بها. وقد بينت الدراسات أن هناك أكثر من ٥٠ إذاعة كنسية بإفريقيا . هذا بالإضافة إلى الكتب والدوريات وغيرها[٤] . كل هذا يحدث فى وقت خلت فيه الساحة الإفريقية من أية جهود إسلامية حاسمة لمواجهة هذه الهجمة الصليبية .

ويمكن القول بأن العقدين الأخيرين من القرن ١٩ كانا أشد مراحل الغزو الأوربى لإفريقيا قوة واندفاعاً ، حيث تدخلوا بقواتهم العسكرية ، ومنظماتهم التبشيرية ، فى فرض العزلة على البلاد الإسلامية . ومزقوا ما بينها من روابط تاريخية . فمثلاً قامت بريطانيا بحظر الانتقال من شمال نيجيريا الإسلامى إلى جنوبها الوثنى ؛ وذلك لمنع تسرب الإسلام إلى الجنوب . وفى نفس الوقت أطلقت يد الإرساليات التنصيرية لتعمل فى الشمال وفى الجنوب معاً ؛ بهدف إضعاف الإسلام فى نيجيريا كلها . كما طبقت نفس الخطة فى السودان[٥] .

وفى تنزانيا بلغ عدد الهيئات الكاثوليكية العاملة هناك ٢٤ هيئة ، وذلك حتى عام ١٩٧٦م تدير ٤٥١ داراً للعبادة . كما بلغت الهيئات التبشيرية الأخرى عشر هيئات تدير ٢١٧٧ داراً للعبادة وتدير ١٥ مستشفى و٥٨ مستوصفاً. ويهتم القساوسة هناك بالعمل بالقرب من المزارعين، حيث يقدمون لهم خدمات منوعة ، بغرض تحسين مستوى إنتاجية الطعام.

---

(١) صحيفة المسلمون فى ٢٧ / ١٢/ ١٩٨٥م .

(٢) مجلة منار الإسلام عدد يوليو ١٩٨٠م .

(٣) أفريقيا د. جمال عبد الهادى ص ١٨١ .

(٤) أوضاع الأقليات المسلمة بالقارة الأفريقية لعبد الرحمن سرار الذهب ص ١٣ ، ١٤ .

(٥) أفريقيا لماذا ؟ د. محمد عبده يمانى ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

وبرغم هذه الهجمة التنصيرية بإفريقيا فإن كل المؤشرات تدل على أن المستقبل للإسلام .

فقد جاء فى تقرير «كرافورد» من جامعة «بربتوريا» ما يوضح الفشل الذى تلقته الحملات التنصيرية برغم الجهد والإمكانات المادية المبذولة . فيقول عن شمال إفريقيا «إن استعمار شمال إفريقيا على يد الأقطار الغربية لم يؤثر فى وضع الإسلام هناك فمازال عدد النصارى ضئيل فى أقطاره .. ففى ليبيا مثلاً لا يوجد مواطن ليبى نصرانى[1] ، أما غرب إفريقيا ففيه أكثرية إسلامية ساحقة فى دول مالى والسنغال وموريتانيا وغينيا والنيجر وغيرها ، وفى جنوب إفريقيا نجد فى مدينة الكاب أن عدد المساجد قد ارتفع إلى أكثر من ٢٥ مسجداً»[2] وقد جاء فى تقريره عن **أسباب انتشار الإسلام بجنوب إفريقيا** قول كرافورد «ظل الإسلام متسامحاً جداً تجاه تراث الشعوب الإفريقية وثقافتها ، كتعدد الزوجات ، والختان بعكس المسيحية . كما لقى جانب التوحيد الإسلامى شيئاً من الترحيب لدى السود ، وأيضاً عدم فصل الدين عن الدولة فى شئون الحياة اليومية ، بعكس النصارى الذين لا يطبقون دينهم على الحياة اليومية» وقال أيضاً : «الإسلام لم يرتبط بالاستعمار فى أى شكل من أشكاله ، على عكس التنصير . كما أن الإسلام قدم نفسه كشريك فى الصراع ضد الاستعمار والتفرقة والعنصرية»[3] .

شهادة أخرى : فى كتاب موضوعى ، ألفه « فنسان مونتى» ، بعنوان «الإسلام الأسود» ويعنى «الإسلام فى إفريقيا» أبدى المؤلف أسفه من صعوبة الحصول على أرقام دقيقة عن إفريقيا ، وذكر إن معظم المعلومات مستقاة من الأجانب ، ومن رجال الإرساليات – التنصيرية – ويسجل دهشته من أنهم يقللون عدد المسلمين فى إفريقيا بنسبة ٥٠٪ بخفة وبدون تدقيق» . ثم ينتهى إلى القول بأن «الإسلام فى إفريقيا يتقدم ويزدهر ، وأنه يعيش منذ سنوات فى حيوية واندفاع كبيرين ، ويشهد على ذلك رجال الإرساليات المسيحية أنفسهم» وينقل أقوال الأب كوك – وهو أحد أعضاء الإرساليات فى إفريقيا – ومن أقواله : «لا يوجد فى إفريقيا جماعة واحدة غير قابلة لتسرب الإسلام إليها . وإن الإقبال على الإسلام مستمر ، ليس فقط فى أوساط الوثنيين ، بل وأيضاً فى الأوساط التى سبق لها اعتناق المسيحية» . وحكى المؤلف قصة رواها له مراسل مجلة لموند ، أن إحدى القرى الوثنية فى بنين (داهومى) ، اشتركت فى بناء كنيسة بإشراف إحدى البعثات التنصيرية ، ولكن القرية ذاتها

---

(١) أفريقيا لماذا ؟ د. محمد عبده يمانى ص ١٤٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٦ – ١٤٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٣ ، عن سلسلة تقارير وزارة الأوقاف بالكويت .

تحولت إلى الإسلام منذ ثلاث سنوات ، ويؤكد المؤلف فى النهاية أن الإسلام هو الدين السماوى الأول فى إفريقيا»[1] .

التنصير ومؤامرة النظام العالمى الجديد بإفريقيا : «عن كتاب حزام المواجهة»

«بعد انهيار الشيوعية رأى الغرب أن تكون إفريقيا هى رأس الحربة التى توجه إلى المسلمين فى حروبهم التى يعدون لها تحت شعار النظام العالمى الجديد والتى يريدونها أن تكون بين الإسلام ومؤسسات التنصير . وقد بدأت مقدمات هذه الحرب المعادية للإسلام فى شكل «محو للتاريخ الإسلامى من ذاكرة المسلمين ، وتشويهه ، لقطع الصلة بينهم وبين ماضيهم العريق ، فقد أحلّوا مكان التاريخ الإسلامى تاريخاً مزوراً كالقول بأن تاريخ إفريقيا بدأ منذ بدأت الكشوف الجغرافية الأوربية . فى حين أن العرب والمسلمين أرّخوا لإفريقيا قبل الغرب المسيحى بثمانية قرون كاملة، وظل الإسلام وحده هو سيد الساحة طوال أحد عشر قرناً . وكما يقول المؤرخ الغربى (واندسون) «إن حضارة مثل حضارة غانا كانت تفوق حضارة الأنجلو سكسون زمن وليم فى القرن الحادى عشر الميلادى» .

«والحرب التى يشنها الغرب المسيحى على الإسلام والمسلمين اليوم تشمل إلى جانب مظهرها المادى الخارجى ، هجوماً شرساً على عقيدة الإسلام وقيمه ، كاتهام الإسلام بالتخلف وعدم القدرة على مواكبة التطور ، وأيضاً التعتيم على ماضى الإسلام ، والتجهيل بتاريخه ليفقد القدرة على استلهام الأمل ، ومن مظاهر هذه الحرب التى تشنها هيئات التنصير على الإسلام ترجمة الإنجيل إلى ٦٥٢ لغة إفريقية ، فى حين لم تترجم معانى القرآن الكريم حتى بداية عام ١٩٩١م إلا لسبع لغات إفريقية . كما لا توجد إلا إذاعة إسلامية واحدة للدعوة الإسلامية (متوقفة الآن) فى حين توجد فى إفريقيا حوالى ٥٠ إذاعة تنصيرية .

ويخطط لتلك الحرب التنصيرية ويعد لها فى جنوب الصحراء بأفريقيا أكثر من ١٥٠٠ كلية ومعهد وجامعة تحت تصرف المنصرين ، حيث يرسل إليها النابغون من أبناء المسلمين وغيرهم ليعاد صياغتهم كما يريدون ، هذا بالإضافة إلى أكثر من ٢٠٠ مركز أبحاث خاص بالمخططات التنصيرية ويشرف عليها بابا الفاتيكان الذى زار إفريقيا عشر مرات منها زيارة عام ١٩٨٥م زار فيها ثمان دول إفريقية . ولذلك فالصحافة الغربية تسميه «البابا الإفريقى» ومعروف أن جيوش المنصرين التى يقودها البابا بنفسه تعمل تحت غطاء تقديم الإغاثة أو خدمات التنمية . ويعاونه فى ذلك الرئيس الأمريكى السابق «كارتر» الذى أقام تحت إشراف

---

(١) أفريقيا لماذا ؟ د. محمد عبده يمانى ص ١٧٥ - ١٧٦ .

الجبهة الشعبية الأريترية بقيادة «أسياس أفورقى» (حظيرة توليد) فى أريتريا تساق إليها بنات ونساء المسلمين قسراً لتضع الحوامل حملهن فى الحظيرة ، ثم يطردن إلى أهلهن ، ثم يتولى مقعدو الحرب والمعوقين تحميل غيرهن (من سفاح)ضمن المشروع المسمى (الكوكب الأحمر) لإنتاج جيل يربى تربية مسيحية خالصة ، فى معسكرات الزنا بأريتريا .

هذا فى الوقت الذى لا يبذل فيه المسلمون جهداً يذكر لنشر الإسلام فى إفريقيا ، أو لتصحيح عقيدة المسلمين هناك ، فحتى الآن يتولى هذا العمل أفراد ومنظمات إسلامية غير حكومية تعد على أصابع اليد الواحدة ، وتتهيب الحكومات الاشتراك فى نشاطها حتى لا تتهم بالتطرف .

وهناك أمثلة لما حققه التنصير من نجاح فى بعض البلاد الإسلامية بإفريقيا ، ففى موزامبيق ارتفعت نسبة النصارى فى قبيلة «الياو» المسلمة من ٦٪ إلى ٣٠٪ بسبب ما تعرضت له من مجاعات ، كما أن رئيس الكنيسة فى مالى قد تنصر برغم أن أصوله إسلامية، فهو من قبيلة الطوارق المتمسكة بإسلامها ، وقد التحق بالمدارس التنصيرية وهو صغير ، إبان مجاعة عام ١٩٧٣م وعلموه فى فرنسا ، ثم عاد الآن قساً يحاول تنصير أهله وإخوانه(١) وبالمثل «سنجور» رئيس السنغال السابق ، الذى نصرته المدارس التبشيرية وهو فى سن الخامسة برغم أن آباءه وأجداده مسلمون . وفوق هذا فهناك خمس دول فى غرب إفريقيا نجد على رأس كل برلمان بها قسيساً كاثوليكياً وهى (بنين والكنغو والجابون التوجو وزائير) وبالمثل رئيس الحركة الانفصالية فى جنوب السودان . هذا فى الوقت الذى لا يسمح فيه بإنشاء حزب إسلامى فى الدول ذات الأغلبية المسلمة مثل موريتانيا والنيجر وتشاد والسنغال وغينيا كوناكرى وغيرها .

وبرغم كل هذا فإن المستقبل للإسلام . حيث أثبتت دراسة إحصائية حول الأديان أصدرتها جامعة «أوكسفورد» فى شكل موسوعة أسهم فيها أكثر من ٥٠٠ خبير فى الأديان ، تجولوا فى ٢١٢ دولة لمدة ١٤ سنة أخذوا فيها العينات وأجروا الدراسات الإحصائية . وقد جاء فى هذه الدراسة أن الكنيسة قلقة جداً من ظاهرة المد الإسلامى فى إفريقيا . إذ أن الإسلام ينتشر فيها بسرعة مذهلة . وقد بلغ معدل نمو الدين الإسلامى ٢٣٥٪ . وأن ذلك يرجع إلى أنه دين جاء بالمساواة . وإلحاق الرحمة بالناس ، بعيداً عن التمييز العنصرى ، وأوضاع

---

(١) المسلمون فى ٢٧/ ١٢/ ١٩٩١م عن كتاب حزام المواجهة ، تأليف جبر الله عمر أمين ، ومدبولى إسماعيل . والمسلمون فى ٣/ ٤/ ١٩٩٢م ، والأمة عدد يناير ١٩٨٦م .

الاستعمار ، اللذين ترافقا مع الوجود النصرانى[1] .

تاسعًا : الخطر الصهيونى :

تسببت اتفاقية «كامب ديفيد» بين مصر وإسرائيل فى فتح أبواب إفريقيا أمام إسرائيل . فكما نعلم – خلال حرب رمضان سنة ١٣٩٣هـ قطعت أكثر من أربعين دولة إفريقية علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل . ولكن اتفاقية كامب ديفيد التى أخرجت مصر من حلبة الصراع العربى الإسرائيلى عام ١٩٨٠م أعطت مبرراً للدول الإفريقية لأن تعيد علاقاتها مع إسرائيل . وأن يعود النشاط الإسرائيلى بإفريقيا فى مجالات الزراعة والتجارة والصناعة والنواحى العسكرية وغيرها . ففى نيجيريا يعمل الآن أكثر من ألفى خبير إسرائيلى . وفى كينيا يوجد أحد مراكز التجسس الإسرائيلى «الموساد» . وفى زامبيا عدد كبير من خبراء الزراعة الإسرائيليين، وتستورد الجابون الأسلحة من إسرائيل ، وهكذا ... وبذلك ساهمت «كامب ديفيد» فى فك الحصار المضروب حول إسرائيل من الدول الإسلامية على وجه الخصوص .

وقدجاء فى دراسة للدكتور إبراهيم نصر الدين أستاذ ورئيس قسم النظم السياسية والاقتصادية بمعهد الدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة أن منطقة شرق إفريقيا (الحبشة وجنوب السودان وشمال أوغندا) كانت مطروحة من قبل لتكون الوطن القومى لليهود . وهى الآن مركز هام للنشاط الصهيونى المكثف الذى يستهدف فى المقام الأول تطويق العالم العربى من الجنوب وتقليص المد الإسلامى على أطرافه بالتعاون مع المسيحية العالمية ، ابتداء من افتعال الصراع الموريتانى السنغالى ، والتواجد العسكرى الأمريكى الصهيونى فى تشاد ، وتقديم المساعدات لحركة التمرد فى الجنوب السودانى من جانب إسرائيل وأمريكا ومجلس الكنائس العالمى . بهدف التحكم فى منابع النيل ، ومدخل البحر الأحمر . ومواجهة انتشار الإسلام فى إفريقيا وهذا هو الهدف من فكرة تهجير الزنوج الأمريكيين إلى إفريقيا . وبالذات إلى ليبريا التى كانت ثالث دولة تعترف بإسرائيل بعد أمريكا وروسيا[2] .

---

(١) المسلمون فى السنغال كتاب «الأمة» لعبد القادر محمد سيلا ص ١٠ .

(٢) مجلة فلسطين المسلمة عدد سبتمبر ١٩٩٤م .